# عندما يحين الوداع

ز . ع.

حين أختطف الرهبان السكوتيون (الترابيست) السبعة من ديرهم «دير سيدة الاطلس» على بعد ٩٠كم من العاصمة الجزائر على يد الجماعة الاسلامية المسلحة (G.I.A.) في ١٩٩٦/٣/٢٧ ، كان رئيس الدير الاب كريستيان دي شيرجي قد سبق وكتب منذ كانون الاول ١٩٩٣ وصيته الاخيرة ، وهو يرى تأزم الوضع ولم يعد يستبعد ان يذهب ضحية العنف ...

وحين أعلـــن عن ان المختطفين السبعة قد لقوا حتفهم في ١٩٩٦/٥/٢١ بعد ٥٦ يومـاً من القلق ـ وهـــم الاب كريستيان (٥٩عاماً) ، الاخ لوقا (٨٢ عاماً) ، الاب كريستوف (٤٥ عاماً) ، الاخ ميشـــيل (٥٢ عامـــاً) ، الاب بـــرونو (٦٦ عاماً) ، الاب سيلستان (٦٣ عاماً) ، الاخ بول (٥٧ عاماً) وبعد التأكد من وفاتهم ، فتحت اسرة الاب كريستيان يوم ١٩٩٦/٦/٢ الظرف المختوم ، لتقرأ ويقرأ معها العالم اجمع وصيته الاخيـــرة التي كان قـد اعـطى لهـــا هذا العنـــوان : « عندما يحين الوداع »!

إن حدث يوما - وقد يحصل اليوم - وكنت ضحية الارهاب الذي يستهدف ، كما يبدو ، كافة الاجانب المقيمين في الجزائر ، أتمنى ان تتذكر جماعتي الرهبانية وكنيستي واسرتي بان حياتي قد وهبتها لله ولهذا البلد . ليقتنعوا من ان الله - وهو سيد الحياة - يسمح بأن اقضي نحبي على هذا الشكل العنيف . فليصلوا من اجلي : كيف اصبحت أهلاً لتقدمة بهذا القدر من السموّ ؟ أسالهم ان يربطوا بين موتي وموت كثيرين راحوا ضحية العنف ولم يتحدث عنهم احد . فليست حياتي ، لا اغلى ولا أبخس ثمنا من اية حياة اخرى.

ليست لها ، على كل حال ، براءة الاطفال . فلطالما اكتشفت ، من خلال ما عشت من الزمن ، تواطؤي مع الشر الذي يسيطر ، كما يبدو وللأسف ، على العالم ، والذي قد يصيبني انا بشكل عشوائي .

اتمنى ، اذا حان الاوان ، ان يتوفر لي بصيص من الوعي كي استغفر الله واستغفر اخوتي البشر ، واغفر بدوري من كل قلبي لقاتلي .

لا يسعني البتة ان اتمنى ميتة كهذه . وانها لحاجة فيّ ان اقولها عاليا.

اني لا اطيق القبول بأن يُتهم بقتلي ، دون تمييز ، ذلك الشعب الذي طالما احببته. اني استكثر ثمن ما يسمونه «نعمة الاستشهاد» ، اذا كانت على حساب جزائري ، أياً كان ، لا سيما ، اذا ادّعى انه تصرف بامانة لما يعتقده انه الاسلام .

انا اعرف حق المعرفة نظرة الاحتقار التي أحاطت بالجزائريين بشكل عام . كما اعلم جيدا التشويهات التي تلحق بالاسلام والتي تروجها بعض الفئات المتزمتة والمناوئة.

فمن الخطأ الجسيم ان يطمئن احد الى الخلط بين الدين الاسلامي والحركات الاصولية المتطرفة.

الاسلام والجزائر بالنسبة لي هما امر آخر : انهما جسد وروح ، فلكم اعلنت ، بعد ان عرفت وعاينت ما اخذته عنهما ، اني غالبا ما وجدتُ فيهما خطأ مستقيما الى الانجيل الذي تعلمته في عيني والدتي - وهي كنيستي الاولى هنا في الجزائر - في احترام المسلمين المؤمنين.

سيبدو موتي ولا شك وكأنه يعطي الحق لاولئك الذين نعتوني ، متسرعين ، بالساذج والمثالي ، وكأني بهم يقولون اليوم ، «ليُعطنا الآن رأيه في الامر!»

ولكن ليعلم هؤلاء اني ساكون اخيراً قد تحررت من فضولي المتأجج.

وها انا سأستطيع ، بأذن الله ، ان اغوص بنظري في نظر الاب السماوي كي اتأمل معه اولاده المسلمين كما يراهم هو ، وهم متسربلون بمجد المسيح هذا المجد الذي هو ثمرة الامه ، وممتلئون من نعمة الروح القدس الذي يكمن دوما فرحه العميق في تحقيق الشركة وتوطيد الشبه بالرغم من الاختلاف.

ان حياتي التي افقدها هي برمتها حياتي وحياتهم ، وانا أشكر الله الذي يبدو وكأنه ارادها برمتها في خدمة هذا «الفرح» ، بالرغم من كل شيء.

وفي «شكري» هذا ، وهو يوجز منذ الان حياتي ، اشملكم دون شك انتم ايضا ، يا اصدقاء الامس واليوم ، وانتم ايها الاصدقاء الذين تحيطون بوالدتي ووالدي واخوتي وذويهم . ها أنا بازاء المئة ضعف الموعودة !

وانت ايضا يا صديق اللحظة الاخيرة من حياتي ، يا من لم تكن تعلم ما فعلت ، اليك ايضا اقول «شكرا» كما اقول «الى اللقاء» الذي اردته لي . ليُعط لنا ان نلتقي في الفردوس ، لصّين سعيدين ، ان شاء الله ابونا نحن الاثنين . آمين ! «ان شاء الله».

الجزائر ١٩٩٣/١٢/١
تبجيرين ١٩٩٤/١/١

كريستيان